اسم الدرس : سلسلة إشكاليات | إشكاليات البناء المعرفي

تصنيف الدرس : تربويات

إشكاليات البناء المعرفي

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

بإذن الله ﷻ في هذا المجلس لن نستكمل سورة الأعراف، وسنتكلم بخصوص مسألة "معرض الكتاب". أناس كثر يسألون في هذه الفترة مع حلول هذا الوقت سنويًا ماذا نقرأ؟ أو كيف نقرأ؟

ونجد كثيرًا من الاقتراحات الخاصة بالكتب، وهذا يثير بداخل بعض الناس سؤالًا، هل يجب علي أن أقرأ؟ افترض أني لست معتاد على القراءة.

سنتكلم في محاضرة بعنوان '**إشكاليات البناء المعرفي**'؛ إشكاليات تواجه الإنسان أثناء محاولته لبناء قصر المعرفة بداخله.

هو يحتاج أن يتعلم ويقرأ لا سيما كما هو معلوم أن أول آية نزلت في كتاب الله ﷻ {اقْرَأْ}[العلق ١]، وأن هذه القراءة أدت في آخر السورة -كما جاء في سورة العلق- إلى {اسْجُدْ وَاقْتَرِب}[العلق ١٩]، أي أن هذه القراءة لا بد أن تؤدي إلى الخضوع والقرب منه ﷻ.

بعض القراءات تؤدي إلى ضلال وبُعد عن الله ﷻ لذلك جاء أيضًا في نفس السورة {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ}[العلق ٦]، فالقراءة قد تؤدي إلى طغيان الإنسان بسبب أنه يشعر أنه يعلم كل شيء، وأنه لا يحتاج إلى الله أو لا يحتاج إلى غيره، كَمَا قال ﷻ {وَظَنَّ} وهم بالطبع {وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا}[يونس ٢٤].

إحساس التمكن وإحساس الطغيان قد ينشأ من القراءة، في حين أننا إذا أكملنا سورة العلق نجد قوله ﷻ {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب}[العلق ١٩]، فإذًا: **القراءة لا بد أن تكون مرتبطة ومستمدة من الوحي**، وأن يكون الوحي حاكمًا على هذه القراءة. وليس معنى هذا أنك لا تقرأ شيئًا من خارج الوحي أو أن أي حكمة خارج الوحي لا تقبلها.. أبدًا!، فالحكمة ضالة المؤمن، لكن لا بد أن تخضع هذه الحكم والقراءات لمعايير من الوحي سواء بالقبول أو بالرفض.

إذًا؛ **ما هي الإشكاليات التي تقابلنا في القراءة؟**

أولاً: قبل أن نتكلم عن الإشكاليات، هناك إشكالية مجتمعية عامة، كمجتمع عربي -لأني أخاطب الذين يعيشون في المجتمع العربي- وهي أنهم للأسف يعيشون حالة من التخلف المعرفي، الاقتصادي، السياسي، العلمي، حالة عامة.

هذه الحالة من التخلف الاقتصادي والتأخر الاقتصادي، ويتبعها بالطبع التخلف المعرفي، ومن أسبابها التخلف السياسي، وانتشار الظلم، وعدم وجود فرص جيدة للناس وبيئات جيدة للتعلم، كل هذا يُحدِثُ نوعًا من تقليل مستوى عقول الناس -وهذا طبيعي-؛ لأن انتشار هذه الحالة يجعل مستوى التفكير ومستوى العقول بسيطًا نوعًا ما، فتجد إشكالية أن هذه حالة عامة جدًا.

- إذًا؛ فأول إشكالية هي **الإشكالية المجتمعية العربية** كلها.

وليس معنى أن هناك بعض الدول المتقدمة اقتصاديًا في العرب أنها تخطت هذا، وليس معنى أن هذه الإشكالية مجتمعية أنه لا يوجد أفراد خرجوا من هذا القفص وكسروا هذه السلسلة من التخلف وبنوا أنفسهم، بل موجود!

فالتعميم لا يعني شمول كل الأفراد. فليس كل أفراد العرب هكذا، أبدًا، ولا يعني أيضًا أن العقل العربي ضعيف، لكن أنا أتكلم عن مستوى البيئة الذي يوضع فيها قد تؤدي غالبًا إلى هذا إذا لم يقاوم الإنسان ذلك وليس لديه جهد ذاتي للبناء والخروج من هذه الدائرة المغلقة، غالبًا يظل بداخل هذه الحالة.

نموذج مثل توفيق عكاشة قد يسيطر على كثير من العقول، هذا النموذج الذي يسمونه في علم الاجتماع نموذج الحاوي، هذا موجود في جميع الدول ليس في مصر فقط، لكن هو لا يحتاج أن يكون بارعًا حتى يخدع بعض العقول؛ لأن المستوى العربي فيه ضعف، فصناعة هذا الحاوي لا يكلف كثيرًا.

الشاهد؛ بالرغم من هذه الظروف التي نعيشها الآن وأدت إلى حالة عامة في المجتمع العربي،

كيف يبني الناس أنفسهم معرفيًا؟

وأضيف إلى هذه إشكالية أخرى، فأول إشكالية هي عموم التخلف الاقتصادي والسياسي والعلمي.

- الإشكالية الثانية: قولبة الشعوب العربية

هي أن الشعوب العربية غالبًا –وهذه نقطة مهمة جدًا– يتم قولبتها عن طريق شيئين مهمين جدًا، بمعنى أن يصير المجتمع كله نفس القالب كأنه قطع أحجار بنفس الشكل!

كيف يتم قولبة العقول؟

غالب العقول كلها تفكر بنفس الطريقة، صناعة العقل الجمعي، كيف يختار الناس كلهم نفس الشخص ويحبون نفس الأشياء ويكرهون نفس الأشياء؟! كيف يتم جعل جميع العقول تشبه بعضها؟! كيف يحصل هذا الشبه بالرغم من اختلاف درجات التعليم الكثيرة؟ هذا مستوى تعليمه عالي وهذا مستوى تعليمه منخفض، وبالرغم من ذلك يقتنعون بنفس الأشياء والأشخاص، فمثلًا تجد أساتذة في الجامعة يسمعون توفيق عكاشة، وهذه ظاهرة غريبة جدًا.

إذًا؛ كيف يتم قولبته؟ عن طريق شيئين:

يوجد عاملان يستخدمهما غالب الدول لقولبة العقول وهما: **الإعلام والتعليم**؛ فالإنسان إن ترك نفسه في الحياة سيدخل من مرحلة دراسية لأخرى وهكذا حتى الموت، فهو في الصباح يذهب ليتعلم وفي خلال اليوم يتلقى الإعلام، فتجد الناس مراحلهم تشبه بعضها، لا يوجد مصادر أخرى في حياته للتلقي، لو ترك نفسه أي لم يذهب لمصادر أخرى ولم يكن لديه جهد ذاتي وترك نفسه مع السياق المجتمعي العادي هكذا يدخل المدرسة، يذاكر، ينجح، يعمل، يتزوج، ينجب، يسافر ثم يرجع، هي نفس الخطوات، لا يوجد فرصة لأنه في الليل عندما ينتهي من أشغاله يرجع منهكًا يجلس أمام التلفاز لتلقي أفكار الإعلام، فتبدأ عقليته تتكون بنفس طريقة التفكير التي في التعليم التي يتلقاها، وهناك انهيار مجتمعي في التعليم فلا يزوده كثيرًا.

وللأسف نحن عندما نتلقى الأشياء الغربية نأخذ صورها لا حقيقتها، فمثلا ظهرت فكرة الجودة وكيف يأخذ الناس بالجودة، نحن نأخذ الصورة فقط ونعرف كيف نملأ الأوراق، فنملأ أوراقًا كيف نكون أفضل في التعليم وترتيب وتربويات، لكن القيمة نفسها والتغيير فيها ضعيف جدًا.

فإذا ترك أحد نفسه للإعلام والتعليم سيجد نفسه في قوالب في التفكير.

كيف يكسر الإنسان هذا؟

من الممكن أن نستعير مصطلحًا قرآنيًا فقال ربنا ﷻ في سورة آل عمران لما قالت أم مريم {رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي **مُحَرَّرًا**} [آل عمران ٣٥]

كيف يكون الإنسان حرًا وليس مستعبدًا للأفكار التي يتلقاها من الإعلام والتعليم؟

كيف يخرج من هذه القولبة؟

لأن القولبة ليست فقط قولبة فكر أي أنهم بنفس الأفكار.

لكن **هي قولبة حياة**، ومن هذه المشاكل -لكن لن ندخل فيها- مسألة الدولة الحديثة، أنك تبدأ العمل ويتم تعيينك وحياتك نمطية لا تعرف أن تغيرها.

لكن الإسلام أول ما بدأ هو دين متحرك. كان هناك مقال جميل جدًا لست متذكرًا لاسم الكاتب لكن اسم المقال '**ديناميكية القرآن الكريم**'. اعتمد على آية جميلة جدًا -وكل القرآن جميل- في قوله ﷻ {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام ١٢٢] نور الإسلام، نور يمشي، نور يتحرك بين الناس، لا يوجد عزلة، ولكن فكرة العلمانية تريد أن يدخل النور في دور العبادة ويغلقه.

لا! نور الإسلام نور متحرك؛ لذلك حدثت الفتوحات الإسلامية، الإسلام لا يتوقف، الإسلام دين ينتشر يشع بالنور. حاولوا تقييده في مكة لكن لم يستطيعوا، ذهب للمدينة وانطلق من المدينة إلى العالم كله {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ **لِلْعَالَمِينَ** نَذِيرًا}، فكان الإسلام يتحرك.

ففكرة أنه يوجد قولبة في حياتك **فحياتك ثابتة**، ما رأيك تفكر أن تفعل كذا للدين؟ لا أستطيع؛ لأن الظروف في حياتي كذا وكذا، ما رأيك مثلًا تتعلم أو تفعل كذا؟ لا أستطيع؛ لأن ظروف حياتي كذا وكذا!

حدث إشكالية أكبر في التعليم، وهي مسألة فصل العلوم التجريبية عن العلوم الشرعية، ودفع الناس كلها لأولادهم أن يدرسوا العلوم التجريبية، طب، هندسة، تجارة، حقوق، آداب، يريدون الالتحاق بهذه

الكليات، وهذه منزوع منها الشرع؛ فأصبح كل الناس يدفعون الأولاد في هذا الاتجاه، والأولاد يدخلون في هذا الاتجاه من التعليم، فلا يوجد شرع في حياتهم.

تقول له: كيف ستنصر الدين؟ فيقول لك: أنا أنصر الدين بالدنيا! لكن أنت في دولة متخلفة دنيويًا من الأساس –وأنا لست ضد الفكرة– لكن كيفية تطبيقها!، وتجد أن حياته في النهاية تحولت لكونه يعيش لدنياه فقط، هو تخرج من الجامعة، ثم عَمَلَ، ثم تزوج، وأصبح في وظيفة معينة، لا يوجد أي فرص، عندما تقول له: أطلب العلم، يقول: لا يوجد وقت! من أين آتي بالوقت؟ افعل شيئًا للدين؟ لا يوجد وقت! لماذا؟ **لأن حياته فيها جدران ثابتة من الدنيا والانشغال بها.**

وبذلك انتقلت من العيش حرا إلي العيش في قالب مجتمعي ثابت حيث أننا قلنا أن الإشكالية الأولى عموم التخلف، والإشكالية الثانية مسألة القولبة. ليس فقط قولبة الدماغ بل قولبة حياتك، تجد أن حياتك حتى لو كنت في أي كلية وأحد أصحابك في كلية أخرى تجد حياتكما تشبه بعضها، أنت تتمنى أن تنطلق في شيء للدين، حياتك أصبحت تشبهه برغم اختلاف الكليات.

كيف نخرج من هذه القولبة؟!

لكي نعرف كيف نخرج من هذه القولبة يجب أن نعرف كيف تمت؟

تمت عن طريق الإعلام والتعليم، إذًا؛ **يجب أن يكون لك مصدر تلقي آخر غير الإعلام والتعليم**، الذي هو الشرع في المسجد. وهذه فكرة المسجد وأن المسجد لا يجب أن يكون تحت سيطرة أحد، {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}[الجن ١٨]، فالإنسان يأتي للمسجد ليتلقى دين الله، يسمع القرآن والسنة وكلام الصحابة وكلام السلف، يسمعهم في المسجد، وهذا بالطبع يتعارض مع الذي يسمعه في الخارج، فيحاول الخروج بالمعاني التي يسمعها في المسجد للحياة.

{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ}[الجمعة ١٠] المقصود بالصلاة هنا صلاة الجمعة، أي لا ننسى المعاني التي سمعناها في المسجد، ذكرُ الله الذي سمعناه نصطحبه معنا في الحياة، وهذه فكرة يوم الجمعة وسورة الجمعة، لهذا أتت بذكر اليهود الذين فصلوا هذا عن ذاك؛ لأن عندنا يوم الجمعة ليس كله يوم ممنوع فيه العبادة، يوم الجمعة تصور كيف تجمع بين الدين والدنيا،

ولذلك هذا تصور هُدِيَ إليه أهل الإسلام، فأنت تمارس حياتك، وبعد هذا تتوقف فترة للدين تتلقى وتسمع وعظ وذكر وعلم، وتصلي ركعتين وترجع لتمارس دنيتك!

اليهود والنصارى عندهم يوم كامل للعبادة ثم يخرجون للدنيا، وهذا فصل تام بين الدين والدنيا. أما نحن **فالتداخل بين العبادة والعمل في الدنيا أصل عندنا**، أثناء العمل تخرج للصلاة في المسجد ثم ترجع. هذا التداخل موجود في الإسلام.

لذلك ذكرنا قبل هذا في سورة البقرة تداخل المعاملات مع العبادات.

في سورة البقرة هذا التداخل؛ لأن هذا الدين عصي على العلمنة، لا يستقيم أن ينفصل الدين عن الدنيا، الآيات متداخلة ومتشابكة مع بعضها البعض، الصلاة مع الطلاق، الصيام مع المال، الحج مع الجهاد، هذا التداخل مقصود. المسجد قيمته الأساسية أن الناس تسمع فيه الدين، تستمع فيه للمعاني الصافية الخالية من تدخل البشر، تسمع فيه كلام الله ﷻ، لذلك قلنا أن الآية المحورية في المساجد هي { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}[الجن ١٨].

يسأل الناس ماذا نقرأ ؟!

في البداية نشخص الوضع الحالي؛ لكي نعرف الإشكاليات التي تواجهنا، ثم نحدد القراءات التي سنحتاج إليها، وهما إشكاليتان:

- الأولى: عدم معرفة نوعية القراءة التي تحتاجها؟

وليس غرضي اليوم أن أخبرك بأسماء الكتب، أنا أعرف أن الذي ينشغل بمجرد تجميع أسماء كتب، هو لم يشخص نفسه، فهذه إشكالية أيضًا.

فأول إشكالية تواجهنا هي الحالة العامة للمجتمع الذي تجعله ليس له رغبة في القراءة، كثير من الشباب يقول أنه لا يعرف كيف يقرأ!، وعندما تقول له هل أنت أميٌّ؟ يقول لك: لا، أنا أستطيع القراءة، ولكن ليس لي رغبة في ذلك؛ يكفيني الدراسة، أنا مشغول ذهنيًا وهو ليس مشغولًا حقيقةً، فهو في العطلة لا يوجد دراسة لكنه لا يفعل شيئًا، فالقراءة بالنسبة إليه تكون عبئًا نفسيًا، قلما إنسان يُحَبَب إليه القراءة.

إذًا؛ كيف تبني نفسك؟

ويمكن أن نضم للقراءة السماع، فشخص قد يسهل عليك كتابًا معين، يفهم معان معينة ويقدمها لك سهلةً، فالسماع أيضًا مهم، وقد فُرِّغَ الكثير من الدروس السمعية لكتب.

- الإشكالية الثانية: حتمية الخروج من الإحباط والتأخر.

أنك يجب أن تخرج من الحالة العامة من الإحباط والتأخر. وعندما تحاول الخروج سترى أن الناس لها نفس العقول بسبب أن التلقي من مصدر واحد هو الإعلام والتعليم، فيجب أن تبحث عن مصادر أخرى للتلقي.

المفترض أن المسجد يؤدي هذا الدور لكن ترى أنه يتم توجيهه، أيضًا من ضمن وسائل الإعلام والتعليم، وهذه من الإشكاليات الكبيرة، أنك تجد رسائل موجهه من داخل المسجد.

- إشكالية الصدمة الحضارية.

أيضًا من الإشكاليات التي حدثت للمجتمع العربي ما تسمى بالصدمة الحضارية. بمعنى أنك عندما ترى الغرب يتقدم تقدُمًا كبيرًا وسبقك فتشعر بحالة من الهزيمة النفسية، فتظن أن الحل في تقليدهم في كل شيء، فعندما يخبرك أحد أن ترتبط بالوحي، أو تقرأ وتنظر في كلام أهل العلم المتقدمين وتعرف ماذا قالوا، تشعر أن هذا لا فائدة منه، فأنت تريد أن تنظر ماذا يقولون وماذا يعظمون وتقرأ فيه وفقط.

وليس المقصود ترك ما يقدمونه بالكلية بل يجب **فلترته**، إسقاطه على ما نؤمن به نحن ونعتقده، ولا نصير مقلدين وفقط،فهم مثلا يقرؤون في التنمية البشرية فنحن نقرأ في التنمية البشرية، هم يقرؤون روايات فنحن نقرأ روايات، نحن نقلد وفقط فهذا يعتبر نوع من الهزيمة النفسية، فأصبح طموح الشخص الذي لم يتلقَ معانٍ إيمانية تربطه بعالم الغيب أن يصير مثلهم، ويذهب ليعمل عندهم، عند ذلك يشعر بحالة انتصار وكأنه خلع بدلة الهزيمة الخاصة بالعرب وارتدى بدلة الانتصار الخاصة بالغرب وأصبح واحدًا منهم.

فهو يشعر بنشوة الانتصار، وأصبح يتكلم كأنه واحد منهم، عندما يذهب هناك يقول لك نحن عندنا كذا -بمعنى أنه صار واحدًا منهم-، فهذه الصدمة أحدثت حالة من اليأس عند الناس، في حين أن المجتمع الغربي منهار تمامًا إنسانيًا.

وقد تكلمنا من قبل عن تدهور المجتمعات في قوله ﷻ {ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ}[الأعراف ١٠٣] سورة الأعراف، فهذا المجتمع في الحقيقة منهار على مستوى القيم الإنسانية، فكونك أنك تريد أن تقلد فقط، هم يعيشون كالبهائم، كالأنعام.

والله ﷻ قال عنهم: {يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ}[محمد ١٢]، فكون طموحك أن تصبح مثلهم وتسير في نفس الطريق، هذا الطريق السيئ لا يوصل إلا إلى مرتبة الأنعام، بينما **العزة يكتسبها الإنسان من الوحي**.

وليس معنى أني مستضعف في مرحلة أن أتخلى عن مبادئي، فهل الصحابة عندما حدثت لهم الهزيمة في أُحد تخلوا عن الإسلام؟ لا، بل هي مرحلة ومعركة وإن هزمنا فيها فسوف ننتصر في التي تليها.

إذًا؛ فقلنا أن من الإشكاليات أن الإنسان عندما يقرأ كلامهم وفقط وأي شيء يعود إليهم ويتشبه بكلامهم.

للآباء دور في إنقاذ أبنائهم من قولبة المجتمع:

وقلنا أن **من أهم مصادر التلقي هو المسجد**، فالأطفال إن تركتهم يدخلون من الحضانة إلى التخرج من الجامعة من الممكن ألا يأخذ فقه الصلاة كاملًا، ولا يحسن الصلاة، ولا يفهم أنه يوجد شيء مهم في حياته اسمه الصلاة، فيختفي تعظيم قدر الصلاة وقتًا ومضمونًا عنده، فلا يقيم الصلاة، فهو لا يسمع عن معاني الدين، لا يعرف عن أسس العقيدة، لا يحفظ القرآن، لا يعرف كيف يقرأه.

فعندما تترك طفلًا بدون تدخل منك بأن تأخذه إلى مسجد، أو تأخذه عند شخص يعلمه دينه أو تأتي له بصوتيات يسمعها، فلن يسمع شيئًا عن الدين حتى يتخرج.

وهذا حال كثير من شباب اليوم، وهذا أقابله في نقاشات مع الشباب يقول مثلًا أنه عنده شكوك فتكتشف أنه لم يسمع شيئًا عن الدين، تصوراته عن الدين الإسلامي أخذها من الغرب وتشويه الغرب،

هو يسمعهم يقولون عن الإسلام كذا وهم أعلم في كل شيء، إذًا الإسلام فيه كذا! فهذه إشكالية خطيرة.

- إشكالية نقص مصادر التلقي:

إذًا أنت اقتنعت أنك يجب أن تتحرر من هذا العقل الجماعي، ولن تسلم نفسك للإعلام وأهل الباطل يملؤون عقلك بما يريدون، وقررت أن يكون لديك فهم للدين بعيدًا عن هذا، الطبيعي أنه كان يتم توفير مصادر لتلقي الدين ولكن هذه أكبر إشكالية تقابل المقبِل.

فيوجد شخص لا يريد أن يتعلم عن الدين أو يقرأ عن الدين. يقول: يكفي ظروف حياتي، أنا أريد التخرج وأريد الزواج وأريد العمل فقط، أريد أن أملأ السيرة الذاتية ولست متفرغًا، يقول لا لأي شيء عن الدين وعن العقيدة وعن الفقه والتاريخ والعلم والفكر.. هذا هو النمط المعرِض.

أما النمط الذي قرر أن يُقبِل يريد أن يقرأ في الدين لكن بشرط، يقول أنا أريد طريقًا منظمًا تمامًا مثل الدنيا، أنا في الدنيا دخلت الروضة ثم بعد ذلك الابتدائي وبعدها الإعدادي والثانوي ثم الجامعة، ارسم لي طريقًا ممهدًا مرتبًا منظمًا فيه خطوات مرتبة لكي أعرف الطريق، و يجب أن يكون هناك مؤسسة تتابعني وتختبرني.

هو يريد المنظومة التي تعمل دنيويًا، يريد مثلها في الدين تمامًا، لو لم يجدها فسيترك الطريق.

غياب المؤسسات التي تبني المعرفة والعلم ليس غيابًا كليًا؛ فهناك أشياء جيدة في الأزهر، في دار العلوم، في بعض المعاهد الدعوية، لكن التي تغطي احتياجات الشباب المسلم نادرة -تعتبر نادرة- مع العدد الرهيب واتساع مصر، هي نادرة قليلة.

حتى داخل كل اسم قلته تجد بعض الإشكاليات، لكن لا توجد مشكلة، لا يوجد غير هذا، مع بعض المساجد مع بعض الدروس، بالطبع الآن أكرمنا الله بالإنترنت، وهناك أشياء كثيرة -وهذه من المميزات- مثل ما يوجد إشكاليات يوجد مميزات، وإذا أغلقت من ناحية فالله ييسرها من ناحية أخرى، أنت الآن كثير من العلماء الذين ماتوا تسمع تسجيلاتهم وتحضر دروسهم وأنت في منزلك، كثير من أهل العلم في أنحاء العالم أنت تسمع دروسهم وأنت في منزلك، وسوف نتكلم في هذه النقطة -إن شاء الله-.

إذًا؛ يضاف إلى الإشكاليات -غياب المؤسسات- وطريقة تفكير الشاب، هو مُصر أنه لن يسير في الطريق إلا إذا وجد المؤسسة، تقول له: لماذا لا تطلب العلم؟ يقول: لا يوجد مؤسسة تدلني على الخطوات التي أسير عليها، وأنا لن أمشي عشوائيًا، فيظل جالسا ينتظر مؤسسة ولا يجد شيئًا، ولا سيما أنه ينتظر مؤسسة تبنى وتتناسب مع خطه الدنيوي الذي يسير فيه.

كان هناك درس باسم '**لماذا لا يغيرنا الموت**' كان تعقيبًا على وفاة المهندس أحمد زكي -رحمه الله- في مسألة أن الدنيا تدفعنا للسير في طريق واحد الآن، قَلَّ من يستطيع أن يكبح هذا السير أو يضغط على المكابح، فهو أيضًا يريد مؤسسة تعلمه علمًا شرعيًا وتعلمه دينه وتتناسب مع حياته، لا يريد أن يغير أي شيء، لا يريد أن يضحي بأي شيء، فهذا زاد من الإشكاليات.

فأصبح البناء المعرفي الذي نتكلم عنه أو البناء العلمي -للأسف- بنسبة كبيرة هو **جهد ذاتي**، يجب أن يكون عندك ذاتية وأن تقوي عزيمتك، أنت الذي تقرأ وتبحث وتسأل، **أنت الذي تذهب**.

تخيل إذا لم يدخل المدرسة شخص انظر كيف يعامله أهله والمجتمع؛ فيدفع دفعًا بهذا الضغط أن يدخل المدرسة، لكن الشخص إذا لم يطلب علمًا -شرعيًا- فهذا أمر عادي، فكم عدد أصدقائك الذين لم يدخلوا المدرسة وكم عدد أصدقائك الذين لم يطلبوا العلم؟

لأنه لا يوجد ضغط من المجتمع يضغط الناس، لكن لو أن المجتمع يسأل: أنت كيف لا تعرف أحكام الصلاة؟ أنت كيف لم تقرأ عن هذا؟ كيف أن هناك غزو للمسلمين في عقائدهم؟ كيف أن هناك غزو للشكوك وأنت لم تحصن نفسك معرفيًا؟ يسأل ماذا أفعل؟، في حين أن عكس هذا هو الذي يحدث، هناك جهد منظم لنشر الشكوك.

جهد أهل الضلال في إضلال الناس: مسألة تبسيط الشبهات

وأيضًا الشبهات منذ زمن عندما كان شخص ليبرالي أو علماني أو حداثي يريد أن يصرف الناس عن دين الله، يكتب كتابًا عن عدم حجية السنة، أن السنة ليست حجة، وليس لها قيمة، فتجد الشباب لم يفهموا الكتاب من الأساس، فكتاب الشبهات هذا لم يفهمه الناس، فالآن يقومون بتبسيط الشبهات ويضعوها في فيلم؛ لأن الناس تحب الأفلام، والشباب يحبون الروايات فنعبئها في روايات، ويحب الكثير من الشباب مشاهدة الأفلام الكارتونية فنقوم بعمل أفلام كرتونية.

رأيت أشياءً كثيرة موجودة في أفلام الكرتون كيف تقذف شبهات الإلحاد وليس فقط الشبهات التقليدية، ويجعلونها تناسب كل الأعمار، والذي يريد أن يقرأ كتاب ميليشيا الإلحاد للمهندس عبد الله العجيري، هو كتاب جيد جدًا، يعرفك كيف أن هناك هجمة خطيرة و ترتيب كيف ينشرون الشبهات حتى أنهم ينشرون كتيبات للأطفال ويخاطبون كل المراحل.

فأصبح حتى الشبهات تُبسَّط، و الرد أنه لا يوجد شباب يتعلم من أهل العلم وبعد ذلك يفهم هذا العلم ويبسطه لكي ينقله لبقية الشباب لكي يحصن ضد الشبهات؛ لأن المشكلة عندما يسألك عن شبهة فأنت ترد له فيقول لم أفهم، فأنت محتاج أن ترتب عقلك بطريقة صحيحة أولًا، وهذه من الإشكاليات الموجودة بنسبة كبيرة بين الملحد الغربي والملحد العربي.

الملحد العربي غالبًا إلحاده ليس على أساس، عندما تقرأ كلامه –هذا الملحد العربي غالبهم ليس كلهم– تجد أن كلامه متناقض، لا يوجد أحد من الغرب قال هذه المنظومة، فلو أنت تنظر لكلامه –الملحد العربي– فكلامه لا يوافق بعضه، لكن الناس تصدق ويقولون هذه الشبهات خطيرة.

مثل فيلم مولانا، الشبهات الموجودة في فيلم مولانا ضعيفة جدًا حقًا، لكن أنت تتعجب كيف أن هذا الكلام يمكن أن يؤثر في بعض الناس؛ لأن الناس من الأساس ليس عندها أي مناعة.

مثل المريض المعروف بمناعة ضعيفة يمكن لأي ميكروب بسيط جدًا أن يؤثر فيه فهو ضعيف جدًا، قد يكون هذا الميكروب لا يؤثر في الأطفال فمناعة الأطفال البسيطة تقضي عليه، لكن الذي عنده مرض في المناعة هذا الميكروب يؤثر فيه؛ فلا يوجد تحصين.

الناس لا يعرفون ما هي السنة، فعندما يُقال لهم شبهات في صحيح البخاري، يقولون بالفعل كيف للبخاري أن يأتي بعد مائتي سنة ويضع لنا أحاديث، هل من كانوا قبله لا يعرفون هذه الأحاديث؟ وكيف أن البخاري غَيَّرَ المسار الفقهي، خدع الناس وغَيَّرَ المسار الفقهي!

الرد عليه أن المذاهب الأربعة قبل البخاري، أي إذا حذفنا البخاري فالمذاهب الأربعة قبله. فتجد هذا الشخص يتكلم بأي كلام، ويقول البخاري وضع الأحاديث لكي يرضي الحاكم سياسيًا ولكي يُسير الفقه في اتجاه يرضي الحاكم؛ فوضع هذه الأحاديث! فأنت تتعجب ما علاقة هذا بالذي حدث؟

فالشبهة من الأساس أننا لا نعرف ما هي السنة والأسانيد وعلم الجرح والتعديل، نحن لا نعرف هذا في حين أن هذه بديهيات ولكن لا نعرفها.

أنا سأقول لكم عن شيء عجيب جدًا، شاب يسكن بجوارنا دخل في منتديات الشيعة، دخل يرد عليهم وهو لا يعرف شيئًا، وهذا خطأ كبير، فوجدته في الفجر يرتعش، قال لي أن هناك شبهة خطيرة جدًا، قلت له: خيرًا، قال هناك حديث في البخاري أن النبي قال لأمنا عائشة ناوليني الخَمرة من المسجد، قلت له: خُمرة وهي شيء يُفرَش.

من يرمي الشبهة يعرف أن من أمامه لا يقرأ، ودائمًا مثل ما قال أخونا محمد علي –جزاه الله خيرا– أشار في مقطع نشره عن فيلم مولانا –أنه تافه– مسألة أنه يعتمد على فتح ملفات كثيرة فقط، وسُمِّيت الأرض المحروقة، فهو يريد فتح شبهات كثيرة، بحيث إذا لم تصب واحدة الهدف تصبه الأخرى، هو معتمد على قلة قراءتنا، على قلة علمنا.

مثل: الغرب وأهل الباطل عندما يضربون أهل الدين يستعملون نفس الخطط، لماذا؟ لأنه واثق في جهلنا، فمن أحد الأسلحة التي يستعملها بقوة، جهلنا.

لابد أن يكون دافعك للبذل في طريق الله دافع ذاتي:

نحن وقفنا عند نقطة أهمية الجهد الذاتي، فأنا قبل أن أسأل ماذا أقرأ أو كيف أقرأ، أنا أحتاج أن يكون عندي عزيمة وهدف، وأن أعرف أن عندي نقص معين حاد يجب أن أبنيه، كيف لا أعرف عقيدتي؟ كيف لا أعرف ديني؟ كيف أكون غير محصن ضد الشبهات؟ كيف لا أنشر الدين؟ كيف لا أبلغ ولو آية؟ كيف لم آخذ مقام (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)[1]؟ كيف لم آخذ هذه الدعوة من النبي ﷺ؟ كيف لم أنشر حديث النبي ﷺ؟

أنا يجب أن أزرع هذا الوازع بداخلي، مثل ما كان الدكتور مجدي في كتبه، مثل كتاب '**الإيمان أولًا**' وغيره يتكلم عن أهمية زرع الوازع، هذا أولًا، هذا الوازع عندما يكون بداخلك سوف يدفعك، أما فكرة ماذا أقرأ؟ فأعطيك قائمة فيمسكها ويقول أنا أقرأ كل هذا! هذا جميل! ويحفظ القائمة عنده ويشعر بالانتشاء لهذا فقط.

[1] نضَّر اللهُ امرأً سمِعَ مقالَتي فوَعاها فأدّاها كما سمِعَها
ابن العربي (ت ٥٤٣)، أحكام القرآن ٧٤/١ • ثابت

من أجل الوقت نكمل بقية الإشكاليات، فآخر إشكاليات تكلمنا فيها إشكالية الجهد الذاتي الذي يتطلب من الإنسان –للأسف– أن يكون عنده طاقة وبذل ومجهود، وهذا في أي شيء في الدنيا، فهل يوجد إنسان يقول لك أنا أريد عملًا جيدًا، تقول له هذا يحتاج شهادة فيُحبط؟!

فهل يجوز لإنسان عنده همة لدخول الجنة ولا يبذل لها؟! (ألا إن سلعة الله غالية)[٢]، كل شيء له ثمن، فكرة أن تكون جنديًا من جنود الله ﷻ تنصر دينه بدون أن تبذل، كيف ذلك؟

قال النبي ﷺ (حفت الجنة بالمكاره)[٣]، فلا بد من السير في طريق المكاره، نعم يقذف الله ﷻ في قلب العبد الرضا أثناء السير والطمأنينة، لكن لا بد من السير فيها.

{قَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ}[التوبة ٨١]، هناك أناس لا تريد أن تبذل، {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ}[التوبة ٤٢]، هناك أناس لا تريد بذل أي مجهود، {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ}[الأنفال ٧]، هو لا يريد أن يكون هناك أي شوك في الطريق، لا يريد أن يبذل، تقول له: يجب أن تخرج من هذه المنظومة، يجب أن تتعلم ويكون لك جهد ذاتي، وهذا لمن ثغره طلب العلم أو غيره من المسلمين، فيجب أن تتعلم دينك –أساسيات الدين– بدل من أن يسأل الإنسان عن الشبهات.

فالبناء أولى، الغذاء أهم من المضادات الحيوية، فإذا كان هناك طفل نعطيه المضادات الحيوية فقط ولا يتغذى ولا يتلقى لبنًا من أمه الذي هو يغذيه ويبنيه، نحن نعطيه مضادات حيوية فقط .. هذا مثل الذي لا يُبنى في الدين، وفي كل شبهة نجد له ردًا وفقط، هذا غير صحيح.

أيضًا من الإشكاليات التي تحدث في قضية المعرفة، وهذا يحدث في معرض الكتاب، هناك مشكلتان:

- الأولى: **خطورة الجمود**، أنه لا يريد أن يقرأ أو ينفتح.
- الثانية: **تِيه الانفتاح**.

[٢] [عن أبي بن كعب:] مَن خاف أَدْلَج، ومَن أَدْلَج بلغ المنزلَ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجنةُ
السيوطي (ت ٩١١)، الجامع الصغير ٨٦٣٤ • صحيح

[٣] [عن أنس بن مالك:] حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشَّهَواتِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٢٢ • [صحيح]

أي أن شخصًا لا يريد أن يسمع أي شيء فتجد عقله فيه نوع من الجمود، فينزل إلى المعرض فيفاجأ بانفتاح شديد، فيقول ما هذا؟ وما كل هذه الكتب؟ ومن هؤلاء؟ ومن أتى بي إلى هنا؟

وحتى بدون أن يذهب للمعرض يدخل على الفيس بوك أو تويتر يرى كوادر كثيرة في اتجاهات مختلفة وقوائم كثيرة للكتب، فيحدث انفتاح معرفي مفاجئ -وهذا تكلم عنه أكثر من أحد في أنه يؤدي إلى أثر عكسي- ينظر لها بحالة من التيه وبعدها يترك كل شيء، أو يدخل تائهًا.

فكل شيء فيه ميزة وفيه عيب، قد يسمع أحد كلامي فيقول ألا يوجد أمل؟ ولكن أين الاعتصام بالله ، لو أنك تعتقد أنك تمشي بطاقتك أو شيخك أو توجيهك فهذا مستحيل، {كيف تكفرون بالله وأنتم تتلى عليكم آيات الله}معكم منهج، {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ}[آل عمران ١٠١] فيكم قدوة.

فربنا يقول: كيف يكفر من معه منهج وقدوة؟ فكان متوقعًا أن تكملة الآية تكون ومن يتبع المنهج ويتبع القدوة فقد نجا، ولكن تكملة الآية {وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ}[آل عمران ١٠١] فهناك أناس موجودون في أيام نزول الآيات ووجود النبي وكفرت.

فقضية الاعتصام بالله وأن تلجأ إليه ﷻ وتعزم وتبذل وتقدم أول شبر والله ﷻ معك في الطريق،

من الكلمات الجميلة التي كان يقولها الدكتور فريد الأنصاري في سورة الفرقان، يقول: لماذا نزل القرآن مفرقا ومُنجمًا على مدار سنوات؟ فقال ربنا ﷻ {كَذَٰلِكَ} أي نزل مفرقًا {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}[الفرقان ٣٢] فكان هناك لفتة جميلة أن ربنا لم يقل في القرآن كذلك ليثبت القرآن فؤادك، بل قال **الله هو الذي يثبت بالقرآن**، {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}[الفرقان ٣٢]، فأنت حتى علاقتك بالقرآن فيها معية الله، حتى في طلب العلم تنتظر المعية، في السير في الدعوة إلى الله تنتظر المعية.

وهذه الإشكالية التي تحصل بعد ذلك .. مسألة أن **المعرفة غير الإيمان**؛ لأن الذي يسير في الطريق و يقرأ قد يقرأ ولا يُحصل الإيمان؛ لأن هناك جانبًا يغفل عنه الناس عند تحصيل أنواع المعرفة ويعرف سواء علم شرعي أو العلوم الفكرية المعاصرة، أنه يشعر بنوع من الاستغناء عن الإيمان، لا يحتاج أن يسمع مواعظ، يحتقر الوعظ، وهذه من الإشكاليات، قد يشعر بعد وقت أنه غير محتاج لأن يقرأ القرآن.

{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}[الملك ١٤]، **الله ﷻ يعلم احتياج الروح والقلب لهذا الوحي**، مثل ما قال الشيخ ابن تيمية: حاجة الناس للوحي أشد من احتياجهم للطعام والشراب، فقد يعتقد الإنسان أنه طالما قرأ فقد زاد إيمانه، لا!

أنت تحتاج دروس الوعظ، تحتاج أن تحضر درسًا من دروس الوعظ، تحتاج أن تسمع عن الجنة وعن النار، تقرأ القرآن، تقوم الليل، تدعو الله ﷻ أن ينفعك بهذا العلم؛ حتى لا يوصلك هذا العلم لـ {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ}[العلق ٦]، الذي يوصلك لهذا أن يكون المصدر أنه غير نابع من الوحي أو الوحي لا يدل عليه، وأيضًا غياب الإيمان.

"تعلمنا الإيمان -كما قال الصحابة- ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا"، القرآن هنا العلم، **فالإيمان ثم القرآن**؛ لذلك الدكتور مجدي كتب كتاب "**الإيمان أولًا**"، مهم جدًا أن تبدأ بداية صحيحة، أو يظل معك طريق موازي للقراءة أيا كانت، أنك محتاج إلى بناء الإيمان، أنت انظر إلى ما تحتاج، تشهد جنازة، تشهد غُسلًا، تذهب إلى مكان خلوي تسمع قرآن، تزور المقابر، تقرأ قرآن، تقوم الليل، صحبة صالحة، تحضر درسًا وعظيًّا.

انظر إلى مداخل الإيمان إلى قلبك، أنت تحتاج هذا بصفة مستمرة، (نكون عندك يا رسول الله ﷺ فتذكرنا بالجنة والنار، فكأن رأي عين فإذا ذهبنا عافسنا الزوجات وانشغلنا بالضيعات فنسينا كثيرًا، قال يا حنظلة ساعة وساعة)[٤]، أي لا بد من ساعة الإيمان هذه في حياتك، لكي تحافظ على قلبك في مشاغل الدنيا يجب أن يكون هناك ساعة إيمان.

إذًا إشكالية **الجهد الذاتي**، إشكالية **الجمود والانفتاح**، وهذه مشكلة بالطبع يصعب حلها في درس مثل هذا، لكن أنت لا يجب أن تقلد أي أحد، ليس أي شخص يقترح شيئًا تمشي خلفه، ولا سيما أن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، نحن لدينا القرآن والسنة ولدينا الصحابة والسلف، ابدأ دائمًا بهؤلاء.

[٤] [عن حنظلة بن حذيم الحنفي:] لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يا حَنْظَلَةُ قالَ: قُلْتُ: نافَقَ حَنْظَلَةُ، قالَ: سُبْحانَ اللهِ ما تَقُولُ؟ قالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنا بالنّارِ والْجَنَّةِ، حتّى كَأنّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإذا خَرَجْنا مِن عِندِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عافَسْنا الأزْواجَ والأوْلادَ والضَّيْعاتِ، فَنَسِينا كَثِيرًا، قالَ أبُو بَكْرٍ: فَواللهِ إنّا لَنَلْقى مِثْلَ هذا، فانْطَلَقْتُ أنا وَأبُو بَكْرٍ، حتّى دَخَلْنا على رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نافَقَ حَنْظَلَةُ، يا رَسُولَ اللهِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَما ذاكَ؟ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنا بالنّارِ والْجَنَّةِ، حتّى كَأنّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإذا خَرَجْنا مِن عِندِكَ، عافَسْنا الأزْواجَ والأوْلادَ والضَّيْعاتِ، نَسِينا كَثِيرًا فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ إنْ لو تَدُومُونَ على ما تَكُونُونَ عِندِي، وفي الذِّكْرِ، لَصافَحَتْكُمُ المَلائِكَةُ على فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ ساعَةً وَساعَةً ثَلاثَ مَرّاتٍ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٥٠ • [صحيح]

تعلم واقرأ عن الصحابة، انظر كيف كان دين الصحابة، كيف كانوا يعظمون القرآن، ويعظمون النبي ﷺ؛ لذلك يفضل في بنائك في البداية الارتباط بالقرآن وبالسنة، تفسير مثلًا لجزء عم، كتاب إشراقات قرآنية للدكتور سلمان العودة كتاب جيد، تسمع تفسيرًا لجزء عم، تبدأ بالقرآن المفصل، وشيء في شرح السنة –شرح الأربعين النووية– لأي أحد من العلماء الثقة مثل شرح الشيخ ابن عثيمين، أي شرح سهل ميسر مثل الدكتور محمد يسري، أو إذا كان لديك همة فشرح رياض الصالحين.

هذا الديدن الخاص بك أولًا، لا يُترك بل يزيد، قبل أن تضع بناءً آخر فالقرآن والسنة قبل الانشغال بشيء آخر ويزدادوا معك؛ لأن هذه الأصول والأسس التي لو بنيت على أساس صحيح فستعرف كيف تتلقى، [هذا خطأ .. هذا صواب]، سيكون عندك إيمان ثابت وراسخ.

فعندما تبني نفسك تحتاج أن تبني هذه الأصول أولًا.

إشكالية ماذا أقرأ :

ولذلك الذي يحدث أنه هناك من بدأ ومازال عنده عزيمة الدين والالتزام والقراءة ثم ينزل معرض الكتاب فيقابل أحدًا من المتقدمين، من الإخوة الأفاضل الذين فتح الله عليهم من سنوات، فيقول له ماذا أشتري؟ فيعطيه قائمة كتب فيشتريها كلها وهو ليس في مرحلته، هذه أيضًا من الإشكاليات، سؤال **'ماذا أقرأ'** لا تكون إجابته إجابة عامة؛ لأنني محتاج لأن أفهم ثغري.

ولكن متى تكون الإجابة عامة؟

في الأشياء التي قال ربنا أن فيها عموم مثل القرآن والسنة، هناك عمومات تصلح لجميع الناس مثل المفصل من القرآن، والمفصل من سورة ق إلى سورة الناس. وهناك اختلاف هل سورة ق أم سورة الحجرات أم سورة الفتح، لكن الغالب من سورة ق إلى سورة الناس. فيها كثير من الآيات والتفصيل والجنة والنار والدار الآخرة، وللأسف الكثير من الناس عندهم نوع من العزوف عن هذا، تقول له اقرأ مثلًا كتاب مثل رياض الصالحين أو أي شرح مبسط لرياض الصالحين، يقول لك هناك فضائل وآداب، وما المشكلة؟ أنت تحتاج هذه الفضائل والآداب حتى تدخل الجنة، وأنت ما هو هدفك من القراءة؟

بعد وضع هذه الأسس ينتقل **للبناء الشرعي والبناء المعرفي**، وليس واجبًا أن ينتهي من البناء الشرعي أولًا ثم يبدأ البناء المعرفي بل من الممكن أن يسير فيهما بالتوازي.

كتبت شيئًا عن أي الكتب التي يقرأها الإنسان، لم أقصد الفقه والعقيدة فهذا البناء الشرعي، أن تسمع سلسلة مبسطة في العقيدة، أو تقرأ كتابًا مثل كتاب الأشقر في العقيدة، كتاب كبير بعض الشيء بالنسبة للمبتدأ لكن يبسط العقيدة في الله واليوم الآخر والقيامة الصغرى والقيامة الكبرى والملائكة والجن والجنة والنار، تقرأ نظرة عامة عن العقيدة، هذه هي العقيدة، أو تسمع أي سلسلة في ضوابط العقيدة، أي أحد من أهل العلم تثق فيه.

وتسمع أي شرح لكتاب مثل الفقه الميسر، أنت الآن تبني نفسك في العلم الشرعي، العقيدة والفقه، وبعد ذلك تقرأ أشياء لتفهم ماذا يحدث حولك، هل كل واحد منا يُشترط أن يعمل هكذا؟، لا أبدًا، كل واحد يكتفي بالأصول، يستمع لأحد ويثق في شخص يسأله، لا توجد مشكلة، لأن له ثغر ثان في العمل الخيري، هو يتحرك في الدعوة إلى الله، يقابل الشباب يكلمهم عن الله، لا توجد مشكلة، لكن هناك حدٌ معين، بعض أهل العلم حاول صياغتها بمصطلح "ما لا يسع المسلم جهله".

هناك أكثر من محاولة قام بها أكثر من شخص أنه يُحضر كتابًا، هذا كتاب تبصرة المؤمن، وهذا كتاب منهاج المسلم، وهذا كتاب مالا يسع المسلم جهله، **فيوجد حد لا ينبغي للإنسان أن ينزل عنه**.

التدرج في طريق البناء المعرفي:

في غياب التعليم وفي غياب الدعم وفي قلته وفي محاربته فأنت ينبغي عندما تريد أن تبني نفسك لا تنتقل من الصفر فجأة تقرأ كتابًا في الفلسفة مباشرة، وتقرأ شبهة في علم الحديث، وتحضر كتابًا متقدمًا في الرد على هذه الشبهة، أنت في الأصل لا توجد عندك الأصول، يقول أنا يجب أن أقتنع أولًا، لا يوجد مشكلة أن تقتنع، لكن إذا انتقد طالب في السنة الأولى من كلية الطب عملية جراحية فهو في الأساس لا يعرف بعد المصطلحات التي سوف أشرح له بها، فهذه إشكالية.

وهذا مهم حتى لا تحبط، قد يكون هذا البناء المعرفي القوي ليس ثغرك، أنت تستشير أهل الخبرة من حولك، ولا تترك هذا يجعلك تقول هذا ليس ثغري، فيقول الجميع أنا لا أريد أن أبني نفسي ويكون هذا بسبب الكسل، هناك حد معين يجب أن تبني نفسك فيه.

أيضًا بعد فترة من السير تحتاج أن تعرف تخصصك أو تركز جهدك في شيء لكي تبني نفسك فيها، مثلا تركز في قضايا فكرية، في الفقه، في العقيدة، في التفسير، فتشعر أنك تسير بشكل منظم، تشعر أنك بعد فترة إذا كان عندك الإيمان والعزيمة فأنت أغلقت علينا ثغرة من كل الثغور المفتوحة.

فلان نحيل عليه في الرد عن شبهة كذا، فلان في تحفيظ الأطفال، فلان في تعليم الناس الدين، فلان في مسائل فقه البيوع، فلان في فقه المواريث، فلان في ضبط عقائد الناس.

لكن للأسف (الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة)[٥]، لا يريد أحد أن يتحمل ويبذل حتى يصبح الإنسان راحلة، طريق الإنسان يسير فيه، طريق مليء بالبذل والتضحيات، يحتاج الإنسان أن يعرف قيمة هذا الطريق، أن يضحي ويبذل لنصرة دين الله ﷻ.

فعندما يتمنى شخص أماني لا يريد أن يبذل لها فهي أماني فقط، عنده أمنيات لنصرة الدين دون أن يبذل، إذًا كيف ستبذل؟ كيف سترد سيل الشبهات الشديد؟

ويتعرض الشباب بصدورهم عارية فيصابون؛ تأتي الشبهة في قلبوهم -نسأل الله السلامة- لأنهم لا يريدون أن يبذلوا، قد يكون الحماس والعاطفة أعلى عندهم من البذل؛ لأن المشكلة أحيانًا الإنسان لم يكن ليتصور طبيعة الطريق.

هو عنده حماس {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، كفوا أيديكم أي أنهم أتوا في مرحلة في مكة كانوا يتمنون أن يجاهدوا لكنه كان ممنوعًا، انظر إلى الحماس في الطلب في مكة والعاطفة،{فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ} لما انتقل إلى المدينة وحدث الاستقرار رفض هذا {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ}[النساء ٧٧].

وفي سورة آل عمران في آية أحد {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ}[آل عمران ١٤٣] تخيل كان هناك أناس تمنوا الموت لأنه لم يكن متصورًا لطبيعة الطريق، فهي عاطفة، يقول كيف يطعن في السنة؟ يجب أن ندافع عن سنة النبي ﷺ.

[٥] [عن عبدالله بن عمر:] إنما الناسُ كإبلٍ مائةٍ، لا تكاد تجدُ فيها راحلةً
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٢٣٣٢ • صحيح

حسنًا، ولكن حتى يكون الدفاع قويًا يجب أن تكون مؤهلًا، إذًا اسلك هذا الطريق في البذل، يقول السُّنة بالتأكيد سوف يُقيض الله لها رجالًا، هذا ليس ثغري لكن ما هو ثغرك؟ يقول: سوف أرى، وبعدها يختفي، نحن نحتاج إلى نصرة الدين، كلمة مشهورة "**يا له من دين لو أن له رجال**"..

الوقت للأسف انتهى، كنت أريد التكلم عن تصورات عامة، قد تكون في درس آخر -إن شاء الله-، ما هي الأصول العامة التي يمكن للإنسان أن يبني نفسه فيها مثل قضية الكليات العامة.

تكلمنا سريعًا في مسألة القرآن والسنة، العلم الشرعي الفقه والعقيدة كبدايات، وبعد فترة يأخذ اللغة والمصطلح، واللغة مهمة جدًا، وبعض الأشياء في الواقع.

نحاول بإذن الله ﷻ أن يكون هناك درس في هذه الأشياء، أو قد نكتب اقتراحات ماذا يمكن للإنسان أن يبدأ فيه، لكن أهم من هذا كله الوازع الذي يجعلك -بإذن الله عز وجل- تصل، فبالعزيمة والصدق والبحث ستصل.

كثير من الناس الذين تراهم لم تكن معهم ورقة فيها منهج يتبعونه، الكثير من الذين تراهم وتغبطهم وتتمنى أن تكون مثلهم اذهب واسأل الكثير منهم وقل له أعطني المنهج الذي أتبعته، سيقول لك قذف الله في قلبي حب ذلك، ثم بحثت كذا ثم كذا.

أنت تستشعر معية الله وهو يتحدث، كيف انتقل من هنا إلى هنا وكيف فُتِحَ له الباب وكيف أن الله أعطاه هذا الثغر، لأنه كان صادقًا وبذل لنصرة هذا الدين، وأعطى وقتًا ومجهودًا، الوقت والمجهود هذه إجابة أسئلة كثيرة.

كيف يتدبر الناس القرآن؟ هل ستعطي وقتًا ومجهودًا؟ كيف ندافع عن السنة؟ الوقت والمجهود، يضاف إلى ذلك أن تستحضر جميع الإشكاليات السابقة، فمن أين ستأتي بالوقت؟ ينبغي أن تضحي، ينبغي أن تبذل.

أسأل الله ﷻ أن يستعملنا لنصرة دينه وأن يجعلنا من جنده الذين يدافعون عن دينه وأن يرفعنا في جنة الفردوس، وأن يرزقنا حسن الخاتمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.